كلمة رئيس جامعة القاضي عياض

الدكتور محمد الكنيدري

حضرات السيدات والسادة:

إن المغـرب بجـذوره ذور العربية العريقة، المعتز بهويته وانتمائه العربيين، اعتزازاً تعبر عنه مواقفه الصامدة أمام مـا تعـرفه أمتنا العربية من أزمات، وتعكسه الجهود والمساعي الحميدة التي ما فتئ عاهله المفدى، جلالة الملك الحسن الـثاني نصـره الله- الـذي أبـى إلا أن يولـي هـذا المؤتمـر رعايـته السـامية- يـبذلها في سبيل توطيد عرى الأمة العربية وتوحيـد صـفوفها، لفخـور اليوم باحتضانه هذه التظاهرة العلمية الهامة، ذات الدلالات العميقة والرموز المتعددة. وإننا لسـعداء بـالترحيب بـالوفود الشـقيقة المشـاركة في هذا المؤتمر، آملين أن نجد في مدينة مراكش ما يوفر لها أسباب المقام الطيب.

حضرات السيدات والسادة:

إن المنعطف التاريخي الذي يمر به العالم اليوم ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، وما يعرفه من اتساع لظاهـرة العولـة الاقتصـادية، ومـن انعكاسـات لهـا عـلى الـنواحي الاجتماعية والثقافية، سيكون لاشك حاسما بالنسبة للعديد من المجتمعات، التي ستكون أمام أحد مسارين، إما اللحاق بالركب أو التهميش المهدد بالاندثار.

وإذا كـانت قضـية الهويـة الـثقافية في هـذا السياق قضية جوهرية، نظراً لما يعرفه العالم من هيمنة ثقافية تستمد أسسـها مـن هيمـنة اقتصادية قوامها التقدم العلمي والتكنولوجي، فإن هذه القضية لم يعد من الممكن معالجتها بالوقوف عـند رفـع الشـعارات أو بالتقوقع حول الذات أو الانزلاق في متاهات التطرف، وإنما تقتضي المعالجة الحكيمة والمتبصرة الـتي تعـتمد بـذل الجهد المتواصل من أجل النهوض بمجتمعاتنا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا. ولا بديل في عالم اليوم عن تنمية المعارف والعلوم، النظرية منها والتطبيقية، كأسلوب وسبيل من أجل هذا النهوض.

ومـا انضـواؤنا تحـت لـواء منظمتـنا العـربية لـلتربية والـثقافة والعلوم، إلا دليل على الأهمية التي نوليها جميعا للنهضة الفكرية في جميع مظاهرها، التربوية والثقافية والعلمية والتواصلية، وعلى وعينا بأهمية التضامن الفكري وتبادل المعـارف والـتجارب، لا من أجل نمائنا كدول منفردة كلا منها على حدة فحسب، بل أيضاً من أجل نمائنا كأمة عربية موحدة تجمعها قواسم مشتركة ظلت وستظل صامدة عبر التاريخ.

ومـا المجـهودات التي يبذلها كذلك مكتب تنسيق التعريب، وهو المؤسسة الفرعية لنفس المنظمة، والتي تنظم هذا المؤتمر، إلا برهان آخر على هذا الوعي.

حضرات السيدات والسادة:

إن اجـتماعكم هذا الذي ستعكفون خلاله طيلة أربعة أيام على تدارس نتائج أعمال خبراء مختصين تحملوا مشقة تعـريب مصـطلحات في مجـالات عـلمية ذات أهميـة حيويـة في الوقـت الحاضـر، إنمـا هو تجسيد لإرادتنا الراسخة في الـلحاق بـركب الـتقدم العـلمي والتكنولوجي وفي تأسيس تمسكنا بهويتنا تأسيسا عقلانيا يوفق بين أصالتنا وانخراطنا في المعاصـرة وتكيفـنا مع متطلباتها، وإن النتائج التي ستتوصلون إليها سيكون لها لا محالة الدور الإيجابي في تجسيد تلك الإرادة.

وليسـت هـذه الإرادة بجديـدة عـلى أمتـنا التي كانت مساهمتها في بناء صرح الحضارة الإنسانية والتراث العلمي للبشـرية مسـاهمة فعالـة، رغـم ما تعرضت وما زالت تتعرض له من محاولات لطمسها. إلا أن استحضارنا المستمر لهذا الـدور لا ينـبغي أن يكـون مـن باب البكاء على الماضي والحنين الانفعالي إليه، وإنما هو استحضار من أجل استخلاص العبر والدروس التي ينبغي أن تكون الرصيد الذي يقودنا في الحاضر وفي توجهاتنا نحو المستقبل.

صـحيح أن تعـريب المعـارف والعـلوم التي توصل إليها من سبقونا قد لعب دوراً في المكانة التي احتلتها الحضارة العـربية الإسلامية في الماضي، حيث كنا صلة وصل بين تلك المعارف وبين النهضة العلمية والتقنية التي عرفها العالم في العصـور الحديـثة. إلا أن دورنـا لم ينحصـر في الـتعريب ولا في الـنهل مـن المعـارف السابقة بقدر ما كان ذلك التعريب منطلقا لإقلاع فكري وحضاري بنيناه بمجهودات مفكرينا وعلمائنا.

وإنمـا العـبرة الـتي ينـبغي ألا تغيب لحظة عن أذهاننا، أن تعريب المصطلحات وإعداد المعجم ليس غاية في حد ذاتـه، بل ينبغي أن نتصوره كمجرد وسيلة تجعلنا نمتلك المعارف العلمية والتكنولوجية من أجل تطعيمها وإغنائها ومن أجل المساهمة الفعلية في بنائها وتطويرها.

فـإذا كـنا نخـوض نضـالا مـن أجـل أن تحـتل الـلغة العربية مكانة بين اللغات المتداولة ضمن التقنيات الحديثة للمعـلومات والتواصـل، فـليس ذلـك لـتحقيق مكسـب سياسي بقدر ما هو وسيلة لولوج مجالات المعارف والمعلومات من أجـل الـنهل مـنها واسـتيعابها، وبالخصـوص من أجل تبادلها. وهل من تبادل ممكن بدون أخذ وعطاء؟ وهل من عطاء بدون إنتاج؟ وهل من تواصل بدون مضمون؟.

إن وعينا بهذه الحقيقة هو النبراس الذي يحاول المغرب تحت القيادة الرشيدة لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، أن يستنير به في سياسته التنموية، التي يعطي فيها الأولوية لتنمية العنصر البشري، والشباب منه بوجه خاص، عن طريق الاستثمار في تنمية الفكر. وهو الهدف الذي يسعى إليه من خلال كل البرامج التربوية من أدناها إلى أعلاها مستوى، التي يستثمر فيها الجزء الأكبر من موارده.

فلعل هذه المجهودات التي نبذلها جميعا، إن على مستوى الدول أو على مستوى المنظمات الإقليمية المتخصصة، تحقق مبتغاها وتساعد أمتنا العربية على استرجاع المكانة التي كانت لها بين الدول.

وفقكم الله وكلل بالنجاح أعمال مؤتمركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.